قيس ويمن

قيس: هو قيس عيلانَ بن مُضَر. وقيل: قيس بن عَيلان بن مضر.

فالأول: مركب تركيباً إضافياً (قيس مضاف، وعيلان مضاف إليه).

والثاني: قيس، موصوف بـ (ابن)..

وقد رجّح ابن حزم في «الجمهرة» الإضافة (قيس عيلان).

وقيل: عيلان المضافة إلى قيس: فرسه أو كلبه، وقيل غير ذلك، والله أعلم.

وقد كثرت قبائل وبطون قيس بعد الإسلام، وغلب اسمها على جميع بطون مضر، ومنها قريش، وخصوصاً في بلاد الشام.

وعندما ظهر الصراع - في العصر الأموي - بين القبائل المضرية والعدنانية من جهة، والعرب اليمانية من جهة أُخرى، استعملت «قيس» في مقابل عرب اليمن قاطبة، فقالوا: «قيس ويمن».

وقد بدأ الصراع بين القيسيين واليمنيين، مع بداية العصر الأموي، والمعروف أن بلاد الشام نزلتها سلالات هاجرت أصولها القديمة من اليمن قبل الإسلام بعهود طويلة، فطال وجودها في الشام، ثم ما لبثت أن طرأت عليها مع الفتح الإسلامي قبائل حجازية، وقد عرفوا باسم العدنانيين أو النزاريين، ثم غلب عليهم اسم «القيسيين».

وقد كثر اليمنيون والقيسيون، فعموا بلاد الشام كلها. وربما كان اليمنيون يتيهون على القيسيين بأصولهم؛ فقد كانوا في أحد أدوار التاريخ سادة الجزيرة العربية، وكان الخزاعيون[1] حكام مكة قبل قريش من اليمن، كما تقول الروايات التي حفظها الناس وتناقلوها، وإن كانت غير موثوقة.

---

(1) الخزاعيون: نسبة إلى خزاعة - وفي كُتُب الأنساب - وهي واد من أودية الكذب: أن خزاعة من اليمن، وأنها جاءَت بعد خراب سدّ مأرب، وأكثر اعتماد المؤرخين على روايات ابن الكلبي، وهذا الرجل معروف بالكذب والوضع، وقد وضعوا على لسان حسان بن ثابت، يحكي قصة تفرق أهل سبأ: =

كما أن الأوس والخزرج في المدينة من اليمن (الأزد) . . هم أنصار رسول الله، وكان القيسيون يفخرون بأنهم سلالة الفاتحين، أو سلالة قادة الفتح، وأنهم هُداة البلاد . . فكان لهذه المفاخرة أثرها في التحيز للعصبية التي نهى عنها الإسلام.

وقد مرّ بالإسلام عهد نسي فيه المتعصبون هذا التحيز، ولكنه ما لبث أن أثير على أثر الفتن التي نشبت بسبب الخلاف على اختيار الخليفة، وما لبث بعض الخلفاء الأمويين أن استغلوا هذه الإثارة لتأييد مراكزهم، فالأمويون ـ مع نسبتهم إلى القيسية ـ كان يحلو لبعضهم أن يصاهر اليمنية[1]؛ ليعتد بها إذا ناوأه بعض القيسية، خصوصاً في الأوقات التي اشتد فيها ميل القيسية إلى بني هاشم. ولا غرابة إذا تفاقم التعصب واشتدّ أُواره.

وكان هذا الصراع بين القيسية واليمنية موجوداً منذ أيام معاوية وابنه يزيد، ولكنه بقي في مستوى الكلام الذي لم يصل إلى حدّ الصراع المسلح، وكان معاوية وابنه يزيد يحاولان كبته أو تهدئته، وما إن انتهى عهد معاوية ويزيد حتى عاد هذا الصراع في صورة شديدة، واستطاع مروان بن الحكم أن يستفيد منه، وأن يستعين بسيوف اليمنيين ـ وهم كثرة هائلة ـ على القيسيين، وذلك في قصة ابن الزبير؛ حيث أيد اليمنيون الأمويين، وأيّد القيسيون ابن الزبير. ويرى بعض المؤرخين أن الصراع لم يكن أموياً زبيرياً، أو أن تأييد أحد الحزبين لفريق دون آخر لم يكن تأييداً للأمويين وابن الزبير، وإنما كان الصراع بين قيس ويمن، كلاهما يريد أن تكون له الدولة في الشام.

= ولما نزلنا بَطْن مرٍّ تخزعت خُزاعة منا في جموع كراكر

وهذا البيت لا نثق بنسبته إلى حسان. ولو صحت نسبته، فإنه لا يكون حجة؛ لأن حسان بن ثابت يروي ما سمع من الناس، والناس قد يروون ما لا يصح . .

والرسول ـ عليه السلام ـ، هو العارف . . حيث قال في الحديث الذي رواه البخاري [كتاب المناقب/ باب/ 9]: «عمرو بن لُحيّ بن قمعة بن خندف أبو خُزاعة»، ذلك أن «خندف» اسم امرأة إلياس بن مضر، واشتهر بنوها بالنسبة إليها دون أبيهم؛ لأسباب ذكروها. وبهذا يثبت أن خُزاعة من «مضر»، وليست من اليمن. . وقد كتبنا في صفحات سابقة أن أهل اليمن (قحطان)، وأهل الحجاز (عدنان) منسوبون إلى إسماعيل.

(1) تزوج معاوية ميسون الكلبية، أم يزيد، الذي جعله ولياً للعهد.

وآيةُ ذلك: أن حركة ابن الزبير قد ماتت بموته، وبقيت القيسية، وانتهت الخلافة الأموية سنة 132هـ، وبقيت اليمنية، ودام الصراع بين القيسية واليمنية حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي - في العصر التركي . . وآخر المعارك التي حصلت بين الحزبين عام 1858م، وتسمى معركة «الخروبة» بالقرب من جنين، وكانت بين «آل عبد الهادي» الذين يمثلون القيسيين، وبين «طوقان» والصقور الذين يمثلون اليمنيين، وانتصرت قبيلة «العدوان» في شرقي الأردن لآل عبد الهادي. وكانت هذه المعركة نهاية حروب قيس ويمن في فلسطين. وفي بداية القرن العشرين تحوّل الصراع - وخصوصاً في الريف والبادية - إلى صراع بين الحمائل والعائلات والعشائر، دون نسبة إلى تاريخ قديم.

• **قبيلة «مُضَر»:**

قبيلة عدنانية، وهو مُضر بن نزار بن معدّ بن عدنان، وقد غلب فيما بعد اسم أحد أبناء مضر: «قيس عيلان» على هذا الشعب، فقيل: «قيس عيلان».

وبعد ظهور الإسلام، نزلت جماعات من مُضر أرض فلسطين، واستقرت في ديار نابلس. . كما نزلتها مجموعات من قيس عيلان، واستقرت في أريحا، وعمّان، وتلّ خويلفة في ديار بئر السبع، كما نزلت في «بانياس» والجولان، وبُصرى مدينة حوران.

وحمولَةُ «الأحفاد» في بُرقة - في جبال نابلس، من قبيلة عتيبة، وعُتيبة من «هوازن»، وهي بطن من قيس عيلان.

ومن قيس عيلان: غطفان، وعَدْوان، وسُليم، وهلال، والعَدْوان - بفتح العين -: من قبائل شرقي الأردن، وهي من سلائل عَدْوان القديمة.

والعدوان: من عشائر منطقة البلقاء تقيم في غور نمرين، والكفرين، وحسبان في شرقي الأردن.

ومن «العَدْوان» جماعة نزلت في «بيت حانون» في قطاع غزة.

وبنو ذُبيان: من قيس عيلان، كانت منازلهم بين تيماء وحوران، ومن بطون ذبيان «فزارة»، كانت منازلها في جنوبي معان. وإلى فزارة تنتسب حمايل «الحشابكة»، والصلاحات، والدبابسة في بلدة «طلوزة» في جبال نابلس.

والمواسي من فزارة، نزل جماعة منهم شمالي فلسطين، اشتهر منهم عقيلة بن موسى المواسي الذي كانت له السطوة في مرج بني عامر، توفي عام 1870م.

وبنو هلال من مضر، من قيس عيلان.

• قُرَيش، وصلتها ببلاد الشام:

أظن أن «قريش» لقب[1]، وليس اسماً. فليس هناك رجل في التاريخ اسمه «قريش» . . بل هي صفة في رجل أو في قوم، ولذلك قال العلماء في تفسير الاسم، ونسبته: «هم ولد النضر بن كنانة»، وقالوا في غيرها: فلان بن فلان. وربما جاء اللقب من التقريش، وهو «التجمع»، وقد يكون غير ذلك، والله أعلم.

ولا يعلم أحد متى بدأ هذا اللقب، فالأقوال فيه كثيرة، ولا يُرجح قول على آخر.

ويطلق غالباً على سكان مكة قبل الإسلام، وأقدم نصّ وأصحه (وهو الصحيح مطلقاً) ورد فيه اسم قريش، قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾، ولكن اسم «قريش» لم يكن يوم نزول الوحي؛ فالقرآن يحكي ما كان من نعم الله على قريش قبل الإسلام.

ويروى أنَّ أول مَنْ قرش قريشاً وجمعهم، هو قصي بن كلاب، وهو الجد الخامس في النسب النبويّ. . ولا ندري متى بدأت صلة قريش التجارية مع الشام. ويُروى أن رحلة الصيف المذكورة في القرآن كانت إلى غزة وبلاد الشام، وربما وصلت إلى أنقرة، وأن هاشم بن عبد مناف هو الذي أخذ الحلف من قيصر لقريش على أن تأتي الشام وتعود منها آمنة. وقُدّر وقت وفاة «هاشم» نحو سنة 524م. . ولكن الرحلة الرئيسة كانت إلى غزة؛ بدليل أن هاشماً توفي في غزة. ويقال: إن عبد شمس

---

(1) وظاهرة التعريف بالوصف أو اللقب قديمة: فالأحابيش: مجموعة من القبائل تحبشت، وخزاعة لأنها تخزعت، وغسان؛ لإقامتهم عند ماء اسمه «غسان»، والأنصار؛ لأنهم نصروا رسول الله. . إلخ، كما أن غلبة اللقب على الاسم قديمة أيضاً، وهي الأكثر؛ ففي سلسلة النسب النبوي: عبد المطلب: اسمه شيبة. وهاشم: اسمه عمرو، وعبد مناف: اسمه المغيرة، وقصيّ: اسمه زيد. . وكثر فيما بَعْد: فالفرزدق اسمه: همام، والأخطل: غياث. . وهذا كثير.

أيضاً توفي في غـزة؛ ذلـك أن قضـاء غـزة (قطـاع غـزة، ومنطقـة النقـب) كـانت عربيـة خالصة العروبة قبل الإسلام. . فقد ذُكر في أخبـار فتـح غـزة: أن العـرب كـان عليـهم حراسة الحدود والطرق، وأنهم انضموا إلى الجيش العربي الفاتح. . وعندما وصلـت رسالة النبي ﷺ إلى هرقل وهو في القدس طلب من رئيس شرطته أن يبحث عن رجـل مكي من قريش في بلاد الشام، فوجدوا أبا سفيان بن حرب في غزة. .

ومن المدن الشامية التي يُظنُّ أن القرشيين قد وصلوا إليها للتجارة مدينـة بُصـرى في حوران؛ لأنها كانت من عواصم الغساسنة العرب، وعندما بعـث رسـول الله كتابـه إلـى هرقـل، سـلمه أولاً إلـى الحـارث بـن أبـي شـمر؛ ليوصلـه إلـى هرقـل. ووُصـف الحارث في الخبر بأنه عظيم بُصرى. وفي السيرة النبوية: أن النبـي محمـداً ﷺ جـاء إلـى بصرى قبل البعثة مرتين في قافلة تجارية:

المرة الأولى: عندما كان عمره اثني عشر عاماً بصحبة عمه أبي طالب.

والمرة الثانية: جاء في تجارة لخديجة بنت خويلد، مع مولاها ميسرة.

وإذا لم تصح رواية وصول النبي محمد إلى بُصرى، فلا مانع أن تكون الرحلـة التجارية قد تمت، وإن لم يكن فيها محمد رسول الله.

• وهناك خبر موضوع يقول: إن أُميّة بن عبد شمس ـ جد الأمويين ـ خـرج إلـى الشام فأقام بها عشر سنين. وحدّد الخبر المكان بأنه بلدة «صفورية» في الجليل.

وقلتُ: خبر موضوع كـاذب؛ لأنـه منقـول عـن «ابـن الكلبـي»، وابـن الكلبـي هذا: (محمد بـن السـائب تـوفي سـنة 149هـ) مشـهور بـالكذب والاختـلاق والوضـع (انظر: «تهذيب التهذيب» لابن حجر)، ولم يمدحه أحـد، بـل قـال بعضـهم بكفـره، وهو سبئي، يتدين بالكذب على بني أُميّة بخاصة، وعلى المسلمين بعامة.

والخبر موضوع للطعن في عثمان بن عفان، وبني أمية، وبني أبي مُعيط، وابنهم الوليد بن عقبـة. وقـد اشـترك في تركيـب الكذبـة اثنـان مـن رواة الأخبـار والأنسـاب، ونقل الخبر ابن قتيبة في كتاب «المعـارف»، وابن قتيبـة، مـع سـعة علمـه، ودفاعـه عـن السُّنَّة، والعـرب، إلا أنـه ينقـل في هـذا الكتـاب دون تحقيـق، فحـَوى الإسـرائيليات

والخرافات والأكاذيب التاريخية، ونقل ما نقل في ترجمة «الوليد بن عقبة». وهو صحابي، أسلم عام الفتح.. ولاّه عمر بن الخطاب صدقات بني تغلب، ثم ولاه عثمان بن عفان على الكوفة، خلفاً لسعد بن أبي وقاص، وكان الوليد أخا عثمان بن عفان لأمه.. وكان الخارجون على عثمان قد عابوا عثمان في أشياء، منها تولية أقاربه غير الأكفاء، ومنهم الوليد بن عقبة، فوضعوا عليه أخباراً لا تصح، واتهموه بالصلاة بالناس وهو سكران.. فعُزل، وضرب حدّ الخمر. وصادف أن أباه عقبة بن أبي معيط كان شديد الأذى لرسول الله، فأسرَ يوم بدر، وأمر رسول الله بقتله. ووضعوا على لسان رسول الله أنه قال لعقبة قبل قَتله: «إنما أنت يهودي من أهل صفورية»؛ فكان لابُدّ من كذبة تاريخية؛ لتفسير الحديث الموضوع على رسول الله..

وإليك بعض ما نقله ابن قتيبة في كتاب «المعارف» (ص 318): بدأ ابن قتيبة الخبر بقوله: «قال أبو اليقظان»، وهو عامر بن حفص توفى سنة 190هـ، وترجم بأنه عالم بالنسب[1] (الأعلام للزركلي).

قال أبو يقظان في ترجمة الوليد: هو الوليد بن عقبة بن أبي مُعيط (بن أبي عمرو) بن أمية بن عبد شمس. قال: وكان أبو عمرو عبداً يُسمّى «ذكوان»، فاستلحقه أمية، وكناه أبا عمرو، فخلف على امرأة أبيه أمية، وكان ذلك جائزاً في الجاهلية، فحرمه القرآن: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: 22].

ثم قدّم ابن قتيبة عن (ابن الكلبي) تفسيراً آخر لهذه «العبودية»، فقال: وقال ابن الكلبي: كان أمية بن عبد شمس خرج إلى الشام، فأقام بها عشر سنين، فوقع على أمة لـ «لخم» يهودية من أهل صفورية، يُقال لها: «ترنا»، وكان لها زوج من

---

(1) إذا قيل: فلان عالم بالنسب. العلم هنا بمعنى الجمع لكل ما قيل، ولكل ما سمع، وليس كلٌّ ما يقال صحيحاً. فعالم النسب قد تفرغ لجمع كل ما قيل: الصحيح منه والسقيم. ويأتي فيما حفظ وجمع الصحيح والكذب.. فإذا قال نسابة في ترجمة النبي: «محمد بن عبد الله بن عبد المطلب»، فهذا صحيح. وإذا قال: إن فلاناً ينتسب إلى سام بن نوح، أو حام بن نوح، فهذا كذب؛ لأن هذا النسب لا يعلمه إلا الله. وكثيراً ما يضع عالم الأنساب الخبر من هواه، أو ينقل أقوال أصحاب الأهواء.

أهل صفورية يهودي، فولدت له «ذكوان»، فادعاه أمية، واستلحقه، وكناه: «أبا عمرو»، ثم قدم به مكة، فلذلك قال النبي لـ «عقبة» يوم أمر بقتله: «إنما أنت يهودي من أهل صفورية..».

قلتُ: القصة غير صحيحة؛ لأن الراوي مشهود عليه بالكذب، وهي قصة بلا إسناد، ولا يُقبل خبر في مثل هذا الموضوع (الأنساب) إلا بسند صحيح.

وقد نظرت في كتاب «نسب قريش» للمصعب الزبيري، فلم يذكرها، وهو رجل قرشي عالم بالنسب، فقيه ثقة. ونظرتُ في كتاب «جمهرة النسب» لابن حزم، فلم يذكرها، وهو عالم فقيه ثقة. واعترف المصعب الزبيري «لأبي عمرو» بأنه ابن أميّة. انظر: (ص99).

وهي منقوضة وباطلة متناً؛ لأن اليهود لم يكونوا موجودين في فلسطين في زمن أمية بن عبد شمس (عاش قريباً من المولد النبوي)؛ فقد انتهى أمرهم تماماً من فلسطين منذ سنة 135م في زمن الإمبراطور هدريان. ولم يذكر الخبر لماذا عاش أمية في صفورية عشر سنوات؟ وكيف يعرف اليهوديّ أن زوجته اليهودية قد زنت ولم يرجمها، والرجم كان مكتوباً في كتاب يهود؟ بل كيف يدعى الزاني ابن امرأة متزوجة.. وكيف يخلف على زوجة أبيه، ويزوجها له أكبر أبنائها، لو كانوا يعرفون أنه عبد مستلحق؟ فالقصة هدفها الإساءَة إلى الوليد بن عقبة، وأبيه عقبة.. والله أعلم.